رسالة البلاغ الموجه للمقدم السيد عبد العزيز الدباغ (1)

تأليف العلامة الحاج أحمد سكيرج

تحقيق : د. محمد الراضي كنون

---

(1) العلامة الأديب، المقدم سيدي عبد العزيز الدباغ. بن الشيخ سيدي محمد بن عبد ا الماجد، من أهالي أم درمان بالسودان، وهو من خاصة المقدمين المؤهلين لتلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية بالقطر المذكور، وقد جمعت بينه وبين العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج روابط مثينة لاتحاد السند بينهما والمشرب، فهو تلميذه وصفيه وصديقه، كما دارت بينهما من الرسائل والأجوبة ما لو جمعتها لم يسعها مجلد واحد من الحجم الكبير، وتمتاز أجوبته رحمه ا بالطابع الأدبي والبلاغي البديع من سجع وثورية واقتباس.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم، نحمدك يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولك الشكر على ما أسكرتنا به من خمرة التجاني في حضرة التحلي بصفات العبودية، من غير تخل عن مقتضياتها، ولم تواخذ بالجريرة(2) المنوطة بعدم القيام بحق شكرك، بل زدتنا من الإمدادات ما نسينا به العهد المأخوذ علينا في الأزل، فلم نقم في عالم الظهور مما نحن مطوقون به في الباطن، فلا حول ولا قوة إلا بك، فبجاه نبيك واسطة الخير، الواصل للخلق المتصل والمنفصل، ولا انفصال عن إمداداته في داري الفناء والبقاء في الإقبال والإدبار، ولا تكلنا إلى أنفسنا، وأدم سترك علينا، وأبلغه منا أزكى سلام وأزكاه، وارض اللهم عن كل من والاه، وافتح أبواب القبول في أوجهنا حتى تدوم محبتنا بين أحبابنا فيك ولأجلك، فنستظل بهما تحت ظلك، متمتعين بالوداد المربوط بحبل رضاك، حتى نجتمع معهم بالحضرة المحمدية، كاشفا عنا كل حجاب يمنعنا من النظر إلى وجهك الكريم، فهناك يتم السرور بالمنى لي ولأحبابي الذين ارتبطت بيننا وبينهم رابطة الأخوة في الله، في حضرة الغيب وحضرة المشاهدة عموما وخصوصا.

والسلام التام من حضرة الوصول العالية، أزفه لحضرة الأخ في الله، سليم الصدر، ورفيع القدر، الأديب سيدي عبد العزيز الدباغ بن المرحوم الشيخ محمد عبد الله الماجد، فقد وصلني منه أول كتاب، قاض بتعجيل الجواب، من غير أن أتأنى في الخطاب، بواسطة الأخ في الله العارف بربه المتنور السريرة، سيدي الشيخ مدثر إبراهيم(3) عليه السلام والرحمة والبركة، فتلقيت الكتابين، ووضعتهما على الرأس والعين، فكانت تلك الوساطة ممن عرفتني بمقدار هذا السيد المقترح علينا كتابه ما لا بد من مساعدته عليه، ولقد طالعت رقيمه والنفس الرحماني يهب علي من أنفاسه، حتى كأني صرت بما داخلني من ذلك الخطاب دخلت من عالم الخيال لأرض السمسمة(4) التي شاهدت بعيني فيها عينه، وما حال البين(5) بيني وبينه، فكان الأثير منا بشرا للمقابلة الروحية بما انطبع فيه من الصور المكهربة بمغناطيس سر التوجه النفسي في عالم المعنى، فنظرت ذلك الاتحاد باتحاد مرآة الأخوة الإيمانية، فكان المرتسم(6) في صفائها بل صورتها ذات آنية، أنا عبد العزيز الدباغ، فلم تأخذني استرابة(7) فيما أدلى به إلي من خالص إخلاص الود القلبي، فحل مني القلب في ظهر الغيب كما حللت منه ذلك القلب المنور، وما تنزله معي ذلك التنزل إلا لصدق الإعتقاد، والمعتقد دائما لا يضيع اعتقاده، ولا يذكر فيه من أي منتقد انتقاده.

وإن عصرنا هذا لعصر العجائب، فبينما الشبيبة في إقبال على هدم ما شيده السلف من معالم الفضل، إذا بالمؤمنين من سلالة الفضيلة، يرفعون منارا للهدى، بصدق نية، وسلامة طوية،

---

(2) الجريرة : الذنب
(3) سبق التعريف به في ج 1 ص 288 من هذا التأليف.
(4) السمسمة : هي معرفة تدق عن العبارة وللتعريف بها أنظر الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ج 1 ص 126-131.
(5) البين : الفرقة
(6) المرتسم : الممتثل
(7) استرابة : ريب وشك

بحب أهل الله من السلف والخلف، ورائد العناية قائدهم في اطمئنان على سواء الطريق، لما يقربهم من الحق، ومن سيد الخلق عليه السلام، وما هذه الدنيا إلا دار الإمتحان، عمرها المغررون بمزاحمة الأجانب الذين رضوا إليها فشغلتهم عن الله، فهم في مراسح(8) اللهو خلعوا العذار، ورقصوا مع العذارى، وتشبهوا بهن، فهم متبرءون من الدين والدين متبرئ منهم، أما أهل الله وقد صاروا عندهم من قبيل المسخرة، فلم يصدهم ذلك عما هم قصدوه من التعلق بحبل الدين الذي صار غريبا في هذا العصر، فأيدهم الحق بروح منه، فساروا في الطريق، حتى أحرزوا على متمناهم طبق ما لديهم من التصديق.

فهم أحياء بين أموات، وأهل صلاح حقيقي بين مدعي مجاز الإصلاح، فأهل الدنيا أموات، إلا أن مخالطتهم سريعة العدوى، بمعاداة أهل الحق الذين ينتصر الله لهم بمحاربة هؤلاء الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وغرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا إليها فعمروها، وخربوا عمرهم، وفرحوا بما أتوه من شقائق زادت في غرور أمثالهم، فهم مثلة بين الخلق، ولعمري أن المغتر بهم لعما قريب يندم، ولآت حين مناص، وما هم من الناس في شيء وإن زعموا أنهم من الناس.

وما الناس إلا الصالحون حقيقة

فنرجو لإخواننا المنتمين للإسلام توفيقا يقودهم لما فيه صلاح حالهم ومآلهم، ويعرفهم بحقيقة الإيمان، فيربطوا حبلهم بحبل أهل الله، فينقادوا لداعي الحق بحقيقة تصديق آمنين. أيها العزيز : قد فهمت مقصودك فهمت(9) هيمان الحائر الذي تظاهر بمظهر معرفة ما لم يعرفه بين من جهلوا أحواله، وهم أعرف منه بالذي تظاهر به، فأراد ستر حاله، فلم يهتدي للطريق التي يسلك منها خوف الفضيحة بين معتقديه.

لقد ظهرت بهذا المظهر في عين العارف بربه الشيخ مدثر، فرفعني فوق قدري، ونوه بي عند قوم هم أعرف مني وأعلى مقاما وأصدق حالا، وكدت أن أفتضح بينهم بما ليس لي به طاقة في حمل سره في طريق سره، ولست أكتم منكم هذا الأمر حتى لا تكونوا من الذين اغتروا بسماع أخبار فرغها الصادق في قالب حسن ظنه في المعتقد فيه، غير أني أرجو أن يحقق الحق ما ظنه فينا ورآه فينا، وما ذلك على الله بعزيز.

أيها العزيز : يعز علي أن لا أعجل بإجابة اقتراحكم، فأردكم أولا إلى الشيخ مدثر، وعنده ما لدينا، بل عنده أزيد لتلقيه منا الإذن الصريح الشريف فيما لدينا، فأضاف إلى ما لديه ما وضعناه بين يديه، فلو أردتم ذلك بالحقيقة لطلبتم منه ذلك، فكل الصيد في جوفه، فهو ينبوع(10) السر الرباني المستتر بظل إحالته على الغير في مثل هذا الخير،

---

(8) مراسح اللهو : أماكنها
(9) همت : بمعنى ذهبت لا أدري أين أتوجه
(10) الينبوع : عين الماء

ويزيد في الستر بإحالة مثلكم على مثلي، ولولا ستر الستار الذي ستر عيبي ونقصي من أعين الأحباب وهم كثيرون ما ردوا علي السلام، فضلا عن أن يبدءوني بالمكاتبة، فضلا عن أن يعتقدوا مثل اعتقادكم الذي أعليتموه في هذا الكتاب المجاب عنه، الذي أفرغتموه في أبدع مخاطبة، ولعمري أن سحر خطابه الحلال قد أنساني ما أنا عليه من النقص، حتى قمت لإجابتكم بهذه الأسطر التي أسطرها من غير تأني(11)، ويدي ترتعش(12) من مخاطبة أمثالكم الذين منحوا من حسن الظن ما أفاقوا به أقرانهم، فلقد شاهدتم قبل تقلدكم بالعهد المحمدي في هذه الطريقة الأحمدية، وبعد التقيد بحبلها ما شاهدتموه بما شرح الله به صدركم، وعرفكم به من المعرفة بقدر هذه الطريقة المحمدية ما عرفتم من أسرارها، وقد عرفتم فألزموا، فالوارثة تعظم بقدر الملازمة، والسر الأعظم في النيات بصدق إخلاص بين العام والخاص.

أيها العزيز : ولقد عرفني الشيخ المدثر بكم، فكانت معرفتي بكم عن يقين، ولست بمنكر لما أسداه إلينا من التعرف بأمثالكم، فإني أقدر قدر ذلك، ولقد قال بعض العارفين : من أحدث أخا في الله أحدث الله له سبعين بابا من المعرفة به، فنرجو أن يكون لنا حظ وافر من هذه المعرفة، فتنفتح تلك الأبواب في أوجهنا لنكون من العارفين به، مع قصور باعنا ووقوعنا في مورد الجهل بالحق على الحقيقة في هذه الطريقة، غير أننا لا ندع شكر الحق في هذا المقام على ما أسداه من إقبال أمثالكم علينا بحسن اعتقاد، وإن الإعتقاد يبلغ لغاية المراد، بمقتضى : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، وقد نفع الله بذلك كثيرا من الأحباب، وأرجو أن أنتفع بما انتفعوا به مني، فإني أراهم تقدموا أمامي وأنا واقف، وقد حصلوا على عهد الأمان وأنا خائف، زادهم الله بسطة في العلم والجسم آمين، وإني أبشركم بأنكم سيكون لكم شأن بما توسمناه من وجوه ألفاظ رسالتكم التي أعربت كما كان بضميركم من حسن الظن وجميل الإعتقاد، الذي لا يظهر به إلا الخاصة من العباد، وأنتم منهم في الصف الأول، وعلى مثلكم في السلوك في هذه الطريقة المعول(13)، فاحمد الله على ذلك.

أيها العزيز : لقد تعين علي أن أسارع لإجابتك بعدما تحققت باطلاعك على شروط الطريقة وأركانها، وأنك من أجل المتمسكين بحبلها، وقد وجدت في نفسي انشراحا يشرح ما أطلعتموني عليه من تلك المبشرات التي يراها الرجل الصالح أو ترى له، وابتهجت نفسي بذلك أي ابتهاج، فلم أتوقف في إجازتكم بما لدينا طبق المرغوب، وفي ضمن ذلك مآرب أخرى، وما هي إلا أن يكون لنا ولكم إقبال من الحق علينا بواسطة الحضرة المحمدية دنيا وأخرى، فتكون من المحبوبين الذين انتفعوا ونفعوا، فكانت لهم الحسنى وزيادة، فلا حرمنا الله من ذلك جميعا، فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله(14)، وما أرى استجازتكم لنا إلا قصدا لنفعهم بالإرشاد، بإذن صحيح خاص بعد الإذن الصريح العام، وها أنا ذا أتتبع فصول كتابكم مجيبا عنها بحسب الوارد الذي يرد علي، معتمدا على الحق وهو الموفق، فأقول :

---

(11) التأني : خلاف العجلة

(12) ترتعش : ترتعد

(13) المعول : الإعتماد والإتكال

(14) ذكره العلامة عبد الرؤوف المناوي في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، وعزاه للطبراني، انظره في هامش الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 128.

أما ما صدرتم به مكتوبكم من تنزلكم معي ووصفي بتلك الأوصاف التي ذكرتم حسبما قد اعتقدتم، فذلك أول برهان على حسن اعتقادكم، وعلى الإعتقاد تشيد قصور الفتح المشيدة لأهل الربح، ولا يصعد إليها إلا من كان من أهل الخصوصية، وذلك عنوان على القابلية لما يرد من حضرات الوصول، والتداني وفق الأماني، من حيث عدم الرضا عن النفس، فمادام المريد غير مكتف بما عنده إلا وهو في ازدياد الترقي، فإذا اكتفى وقف في موقف الرجوع بالقهقري(15) ولو بلغ ما بلغ، وما قيل للعبد عبد إلا ليقوم دائما في خدمة معبوده، وقد أفلح عبد الحق وربح، ولم يفلح عبد الدنيا وخسر، وقد دعا عليه الرسول عليه السلام بالتعاسة، وإن القناعة من الإزدياد من الخير حرمان، وقد تجليت في مظهر كأني أنظر فيه إلى باطنك من خلال عباراتك، فتحققت بصدق طلبك.

وإن سر الله في صدق الطلب كم رءي في أصحابه من العجب

ولم يبق إلا أن أشكر الحق على المظهر الذي ظهرت لكم فيه، حتى أمكنكم بسببه طلب قبول وفادتكم علي لإفادتكم مما لدي، فكانت هذه الوفادة الروحية بريئة من التصنع(16) النفساني، بداعية النفس الرحماني، أن يدخل لحضرة القبول من أي باب طرقه، ويتيسر له الوصول لمناه ومقصده الذي وفقه الحق حتى سلك مسالكه وطرقه، وتلك عادة الله مع الصادقين من المريدين والمرادين، فلم يضع لهم في المسير عقال بعير لطويتهم(17) الصادقة، وصدق نيتهم التي هي إكسير الأعمال الظاهرة والباطنة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

أما شرح حالكم الذي أعربتم به عن الطريقة التي كنتم سالكين عليها تبعا لأسلافكم الكرام إلى أن اعتنقتم الطريقة التجانية، فذلك من نتائج العمل الصالح والسعي الرابح، فقد ثبت لدينا على لسان الثقة من خواص أحباب سيدنا رضي الله عنه أن كل مريد في غير طريقتنا إذا كان محبوبا عند شيخه يوفق للتقيد بحبل هذه الطريقة، حيث قال سيدنا فيما بلغنا عنه : من كان محبوبا عند شيخه يوجه إلي(18) وهذه كرامة شاهدها كثير ممن فتح الله عليهم في طرق الشيوخ الذين رفع الله منارهم في طرق الهداية، ولم يكن انتقالكم عن تلك الطريقة إلا في حال ترق في مدارج(19) العناية بكم لما هو أرفع من حضرات الزلفى(20) في طرق الوصول إلى الحق من الجادة الحنيفية السمحة، والمقصود من السلوك هنا الوصول إليه تعالى من أقرب المسالك، وإن كانت كل الطرق توصل إليه على يد الواسطة الأعظم عليه السلام، وقد اذخر الحق الطريقة الأحمدية لأهلها فلا بد من سلوكهم عليها ورجوعهم إليها، ولو كانوا من المقيدين بحبل غيرها خلفا عن سلف، مما يكاد أن يعد محالا، وهو خروجهم عن طرقهم التي ورثوها، ومذاهبهم التي عملوا عليها منذ زمان، وحصلوا في سلوكهم على ربح لا يستهان به، وظفروا بفتح وصلوا به لنيل المبتغى، فإن سائق السعادة يسوقهم إليها، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس من أهلها، فلتحمد الله الذي وفقك لها، وقد أراك من المبشرات ما تبث به فؤادك، فكنت على بصيرة من أمرك الذي حصلت به مرادك، وهل بعد الإجتماع بأعيان الصحابة والمذاكرة معهم والإستفادة منهم في حضرات الغيب من كرامة للمريد، وهل بعد رؤية النبي (ﷺ) مثل تلك الرؤيا التي رأيتم

---

(15) القهقري : الرجوع إلى الوراء
(16) التصنع : التكلف
(17) لطويتهم : لسريرتهم
(18) انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 143
(19) المدارج : ما يساعد على التوصل إلى ما هو أفضل أو أعلى منه والمدارج أيضا بمعنى الطرق والمناهج
(20) الزلفى : القرب والدرجة والمنزلة

من مزيد، بعد رؤية الشيخ رضي الله عنه التي كادت أن تعد يقظة، وجاءت كفلق الصبح في تلك المبشرات التي لا يحوم الشيطان حولها بإيهام أو إبهام، ولم تكن منكم أضغاث أحلام.

ولقد دعتكم العناية فأجبتم الدعوة، فتيسر لكم الأخذ عمن كان في هذه الطريقة قدوة ونعم القدوة، وإني متحقق بما للعارف العالم السيد المقدم ألفا هاشم(21) من الإذن الصحيح، وقد حصلتم على إجازته وهي الذخيرة العظمى، ولو اكتفيتم بها لكفتكم، ولولا تأثركم من عدم مساعدتي لكم فيما اقترحتم علي لقلت لكم كفاكم ما لديكم من إذنه، ولكن همتكم تواقة للمزيد من الخير، مع اتصال الرابطة بالشيخ قدس سره بما لدينا من أتم واسطة، فنحمد الله الذي من علينا بها، والمنة لله في ذلك، فهو الموفق والهادي لأقوم طريق.

ولقد نظرنا إلى حالكم، وما استفهمتمونا عنه مما يوصلكم لغاية آمالكم، ولولا أن المستشار أمين، وبذل النصح من وراثة الأمين عليه السلام، لضربت عن هذا المقام صفحا، فإن نظرتي غير نافدة، وتجارتي غير نافذة، ويحق أن يتنزل علي قول العامة : قد استمسك غريق بغريق، وقد استسمنت ذا ورم(22)، ونفخت في غير ضرم(23)، لا عن غلط منك في ذلك، وإنما حسن ظنك سلك بك في هذه المسالك، على أن نيتك لا تضيع، ولا يكون عملك سدى(24) في هذا المقام الرفيع، لذلك يتعين علي أن أرشدك إلى أمر مهم في الطريقة، وهو ملازمة الأدب مع الإخوان في الطريق، خصوصا المقدمين منهم، من ترك مزاحمتهم والتظاهر عليهم، فإن الظهور يقصم الظهور، والتحدي والتعصب ليس من الطريقة في شيء، فإياك ثم إياك من التداخل فيما بين الجميع بما يؤدي إلى منازعة أو خصام، أو نصر بعض على بعض لأغراض نفسانية، فقد سرى هذا الأمر بين المقدمين، وصارت الطريقة ذات أحزاب، انسدت في وجوههم فيها الأبواب، وانقطع حبل الوصلة بين جلهم، خصوصا ممن يشير إلى نفسه بالخصوصية.

---

(21) المقدم البركة سيدي محمد هاشم بن أحمد بن سعيد الفوتي أصلا المدني قرارا وموتا، ولد بحلوار من بلاد فوتة عام 1283هـ، وعرف بألفا هاشم، وهي باللغة السنغالية بمعنى العالم هاشم، وله رحمه ا عشرات التصانيف منها : تبيين النهج في تصحيح مناسك الحج، واختصره في تأليف آخر سماه : ترويح المشغول والكسول باختصار مناسك الرسول، ومن كتبه كذلك كتاب فتح المغيث في علم الحديث، ومنظومة الهبات اللاطفية في الكلمات الإسمية الفعلية الحرفية، وتعليم الأجلة في نسخ بعض الأدلة، ورقية المتهم إلى الدليل الأخفى الأتم، وإبداء الخلاف في جواز بيع متعطل النفع من عقار الأوقاف، ومنظومته في الرد على منكر لفظ الأسقم، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة. توفي رحمه ا يوم الاثنين 11 شهر ذي القعدة الحرام عام 1349هـ وصلي عليه بالحرم النبوي بعد صلاة المغرب، ودفن بالبقيع، وكان رحمه ا من أجل علماء المدينة المنورة، يلقي بمسجدها دروسا في الفقه الحديث والتفسير، وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها عن ابن عمه سيدي أحمد بن الولي الصالح العلامة المجاهد سيدي عمر الفوتي مؤلف كتاب الرماح، انظر ترجمته في لوامع الأنوار وفيوض الأسرار للعلامة الحجوجي ص 39 وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 136، وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 2 ص 21، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف كذلك ج 7، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 22.

(22) الورم : المنتفخ من مرض

(23) الضرم : الحطب

(24) سدى : بمعنى باطل

أما في البلدة التي كثرت فيها الزوايا وتعدد فيها المقدمون فإن الرزية كل الرزية في حق غير المسامح في حقه، ولابد من إغضاء الطرف منه عن سوءة أخيه مريدا كان أو مقدما، فالمسامحة في الحقوق من شيم المفتوح عليهم، ما لم يضع بذلك حق الله، ولا حق للمقدم في التصدر في زاوية، بل هو كيف ما كان بمنزلة أخ مع إخوة في الجلوة والخلوة، وإن كانت مراعاته متأكدة على غيره إن أراد في طريقه مبرة الشيخ رضي الله عنه ومبرة ملقنه، وفي ذلك مزية وأي مزية، فإياك ومزاحمة المقدمين، وكن معهم سلما: ولا ترتق في سلم التكبر عليهم، ليكون مقامك هو الراقي بك غير مرتق فيه بنفسك، إن أردت نفع نفسك ونفع أبناء جنسك، وتكون مقدما حقيقيا في الطريق.

فبهذا الحال بعد القيام على قدم الجد في آداب الحقوق الواجبة عليك من صلاة وغيرها ومن الصلات والقربات يتمر غرسك، وتطيب نفسك، وتهب عليك من حضرة الوهب نفحة اختصاصية من الفتح اللدني، تحرك منك البواعث التي تنشلك(25) من أوحالك، ويصلح بها جميع حالك، ويشرق بها منك كل حالك، فترى بعين العناية كامل التوفيق عيانا أمامك، يمهد لك طريق السلوك، آخذا بيدك في المزالق التي زلق فيها كثير ممن ظنوا بأنفسهم الإستحقاق لما تصدوا إليه، ويدخل بك لحضرة الحق من باب الحقيقة حتى يجلسك على كرسي القبول، في محفل أهل الشريعة الذين يشيرون إليك بأيد الترحيب، بعد أن يقوموا أمامك مذعنين(26)، فتتتوج بتاج العز، ليجبر قلبك الكسير بالقيام بحق العبودية التي عندها خوطبت في سرك بلسان الحق : قم لعبادتي وارشد إليها عبيدي، فحينئذ تكون ممن حصلت لهم إجابة الدعوة من غير دعوى، مأمورا في ظهر الغيب وحضرة الشهادة بداعية ادع إلى سبيل ربك، فتتلقى من جبريل الإلهام آية العرفان، وينفخ في صور صورتك الباطنية إسرافيل الإكرام، فتتحقق لك الكرامة في حضرة المكرمة، وتكون ممن شكروا حق النعمة في هذه الأمة، وما ذلك على الله بعزيز.

أما إعلامكم لنا بما حصل لكم من السرور بمطالبة بعض مؤلفاتي وانتفاعكم بها، فذلك عن صفاء مراءاتكم النورانية، فنظرتم لذلك بعين الرضا، (وعين الرضا عن كل عيب كليلة)، وقد جرت عادة الحق في الخلق أن ينتفع كل سليم انتفاعا خاصا، ويزداد انتفاعه بقدر ماله من حسن ظن المعتقد فيه، لكونه يرى بعين الإعتقاد التي لم يرى فيها دون الإنتقاد متنصبا في مكانها، فلا جرم إذا انتفع المعتقد، وخاب سعي المنتقد، وأرجو من الله أن لا يجعل علي ما كتبته حجة، في سلوك هذه المحجة، فإني لم أرد سوى النفع، والله المسؤول أن يحقق ذلك للإخوان وغير الإخوان، ويجعله في كفة ميزان الحسنات التي لا تؤخذ في تباعة، إنه قادر على ذلك، وأما ما رجوتموه منا فقد حصرناه في مطالب يحتاج فيها إلى بسط مقال نختصره لكم بالمعيد في كل مطلب.

---

(25) تنشلك : بمعنى تخرجك وتقتلعك
(26) مذعنين : منقادين

المطلب الأول :

طلب التجديد لكم في الطريقة، هذا المطلب قد تلقيناه منكم بانشراح صدر وطيب نفس، ولم يحل لنا أدنى تردد في إجابتكم إليه، فها نحن أذناكم وأجزناكم إجازة تامة طبق المطلوب، مطلقة عامة وفق المرغوب، حسبما لدينا في الطريقة وأذكارها وأسرارها وفضلها وفضائلها، وكل ما هو راجع إليها بما هو مقرر عن الشيخ فيها، وما هو مقرر من مراتبها الظاهرة والباطنة إذنا خاصا لكم في الورد والوظيفة وذكر الجمعة، وإجازة عامة في تلقينها لمن طلبها منكم بشروطها المقررة وأركانها المعتبرة، وأما الأوراد اللازمة فهي للعموم، ولا تلقن إلا بمراعاة الشروط، وأما الأذكار الغير اللازمة فتلقن كذلك للمريد من هذه الطريقة ولمن طلبها من غيرهم(27) ممن له صدق محبة في الجناب الأحمدي من غير شروط التزام، وقد غلا هنا كثير من المقدمين فيشترطون الإلتزام فيها، مع أن ذكرها غير لازم، واللازم هو الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة، وهو معروف، ولا بأس بتلقين غير الإخوان الأذكار الغير اللازمة لقول سيدنا رضي الله عنه : لقنوا الناس صلاة الفاتح لما أغلق ليموتوا على الإيمان.

ومن باب أولى تلقين غيرها إلا ما كان من قراءة الفاتحة بنية الإسم الأعظم وحزب البحر، فلا يلقنا إلا للخاصة من الإخوان، والأولى والأفضل الإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق بدلا عن سائر الأذكار لخلوها عن الذكر للأغراض، وما لها من الفضل العظيم الذي لا حد له، وهذه الإجازة لكم شاملة لما اشتملت عليه جواهر المعاني وغيرها من كتب الطريقة، من جميع تآليفنا فيها وفي غيرها، لتقوموا مقامنا في الإجازة بما شئتم من ذلك حسب الأهلية، وما تحمله آنية من تأذنون له بذلك من عموم الناس وخاصيتهم، بعد قبولهم لشروط الطريقة في المريدين لها، وشرط محبة الشيخ رضي الله عنه على مريد غير الأذكار اللازمة، واشتراط حب أهل الله أجمعين في حق الجميع من غير انتقاد على واحد منهم ولا على مريديهم وسائر أحوالهم، فإن طريقتنا مبنية على التسليم المطلق لأهل الله، مع اعتقاد جميل في كل واحد منهم حيا كان أو ميتا، مع ترك زيارة الإستمداد منهم وزيارة التعلق بهم، وحسن الظن في سائر أهل لا إله إلا الله، والنفور من معاديهم، وترك مخالطة مؤذيهم بقدر الإمكان، فإن مجالسة المبغضين سم يسري، وهذا كله بعد القيام بالمفروضات أتم قيام، وبالأخص الصلاة فهي عندنا في الطريقة الأساس الذي شيدت عليه، فالمحافظة عليها من آكد الشروط على المريد التجاني، مع زيادة اعتناء بها في أدائها في وقتها جماعة، وهذا الأمر لا يحتاج فيه للوصية عليه لأنه مأمور به شرعا، ولكن لابد من الحض عليه للقيام به قبل كل شيء، فالمريد التجاني من أشد الناس محافظة على الصلاة وأركانها وأوقاتها جمعا وانفرادا، ولا يعد تجانيا إلا من أحرز على الإذن في تلك الأذكار ممن عنده التقديم

---

(27) سئل العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه ا ورضي عنه في كتابه : اليواقيت الأحمدية العرفانية، هل يمكن تلقين الأذكار الغير اللازمة لمن طلبها ممن ليس من الفقراء التجانيين ؟ فأجاب رحمه ا : اعلم أن الذي نحفظه عن شيخنا العارف با سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي ا عنه، وذكرناه في كشف الحجاب أن الشيخ رضي ا عنه أمر بتلقين صلاة الفاتح لما أغلق للمسلمين ليموتوا على الإيمان، وأما غيرها من الأذكار فلم يثبت لدينا تلقينها لغير الآخذين للطريقة، إلا أنه فيما يظهر يجوز تلقين ما عدا الأذكار الخصوصية بما اشتملت عليه من الأسرار بالإذن الخصوصي من عند الشيخ رضي ا عنه، لأنه أذن في تلقين الفاتح التي هي أشرف الأذكار، فيحمل عليها غيرها، ماعدا الأذكار الخصوصية التي لا يؤذن فيها إلا لخاصة الأصحاب في الطريقة، كالفاتحة بنية الإسم وحزب البحر، فإن الشيخ رضي ا عنه لم يأذن فيهما إلا للخاصة من تلاميذه دون غيرهم من الإخوان، فأحرى غيرهم ممن لم يأخذ الطريقة، وعلى ما ذكرناه فلا يلقن المقدم بالإذن الخصوصي غير الإخوة ممن فيهم الأهلية، وأما غير الأذكار المحجرة على غير الخاصة فله أن يأذن فيها إلخ ... انظر اليواقيت الأحمدية العرفانية للعلامة سكيرج ص 44.

الصحيح، والتلقين الصريح، كما تلقينا ذلك عن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني عن سيدنا رضي الله عنه، وتلقينا ذلك أيضا عن شيخنا آخر قضاة العدل بفاس الشيخ سيدي حميد بناني(28) عن خطيب الحضرة الشريفة السيد علال الفاسي(29) عن المقدم سيدي بوعزة(30) نجل الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة مؤلف جواهر المعاني، عن والده المذكور، وعن المقدم سيدي محمد بن عبد الواحد بناني المصري (31) عن الخلفية المذكور، فسيدي بوعزة أخذ عن

---

(28) سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا التأليف.

(29) الفقيه العلامة الخطيب المقدم الأجل أبو الحسن سيدي علال بن عبد ا بن المجذوب الفاسي الفهري، من نسل العارف با الولي الشهير سيدي عبد القادر الفاسي، كانت له رحمه ا حملات على الأجانب الأروبيين، وذلك من خلال خطبه المنبرية الشهيرة، ومنها خطبته التي ألقاها بمحضر السلطان مولانا الحسن الأول تحت عنوان : إيقاظ السكارى، المحتمين بالنصارى، أو، الويل والثبور لمن احتمى بالبصبور، Passeport، وكانت وفاته رحمه ا عند زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام 1314هـ ودفن خارج باب الفتوح بقبة مجاورة لقبة أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 219 وانظرها كذلك في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 66، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 151. وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 246. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 302.

(30) سيدي أبو يعزى بن الخليفة المعظم مولانا أبي الحسن الحاج علي حرازم برادة الفاسي، من خاصة أصحاب الشيخ رضي ا عنه، كانت له به عناية عظيمة، خاصة بعد وفاة والده بالمشرق سنة 1218هـ وقد ترجم له الفقيه العلامة الحجوجي في الجزء الأول من كتابه : إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، وكذلك في كتابه نخبة الإتحاف رقم الترجمة 3، كما ترجم له العلامة سكيرج في كشف الحجاب ص 218 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف كذلك ج 1 ص 226 وفي تيجان الغواني لنفس المؤلف كذلك ص 91 وفي روض شمائل أهل الحقيقة، لابن محم العلوي، رقم الترجمة 19.

(31) المقدم سيدي محمد بن عبد الواحد بناني المصري، قال في حقه العلامة الحجوجي في كتابه لوامع الأنوار : اجتمعت عنده من أسرار الطريقة ما لم يجتمع عند غيره، وأرسل له مولانا الشيخ التجاني رضي ا عنه التقديم مكاتبة ومراسلة لمصر مع الخليفة الأعظم الحاج علي حرازم، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 272 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 160 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1 وفي لوامع الأنوار لنفس المؤلف ص 58. وقال في حقه العلامة سكيرج في نظمه جنة الجاني :

ومنهم المصري ابن عبد الواحد	بلغ منه غاية المقـاصـــــــــــــد
قدمه تقديمـــه العمـــومـــي	ففاز في الخصوص والعمـــــــــــوم
فانتفعت على يديـــــــه نـــاس	ولهم طابت بـــــــه أنـــفـــــــاس
وهكذا المخصوص بالعنـــايـــة	يأخذ بالأيدي مع الرعـــايـــــــــة
وعـــنـــه نروي الإذن بالإطلاق	في سند كالشمس في الإشـــــــراق

والده بلا واسطة، وبواسطة المصري كذلك، ولدينا أسانيد أخرى صحيحة الإتصال بالشيخ رضي الله عنه، نكتفي منها بما ذكرناه، والذي نعتمده في سلوكنا في الطريقة سندنا العبدلاوي المذكور قدس سره، وقد تعرضنا لذلك في مؤلفاتنا في الطريقة، فالله ينفعكم وينفع بكم وعلى يدكم آمين.

المطلب الثاني :

طلبكم الإجازة في كتبنا ومحفوظاتنا ومروياتنا، فها نحن نخبركم بذلك مما ألفناه في الطريقة وخارجها فروعا وأصولا، أبوابا وفصولا، بحسب ما لدينا في ذلك من إجازات مشايخنا، مما تلقينا منهم الإجازة فيه مشافهة ومكاتبة بشروط ذلك، طبق ما بينا ذلك في كتابنا قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، وهو ثبت جمعنا فيه أسانيدنا ومروياتنا من علوم وكتب وحديث وغير ذلك، غير أنه لا تروق في نظري الإجازة في غير كتب الحديث والذكر الحكيم، فإن الإجازات في نظري تنقسم إلى من هو من قبيل الشهادات للتحصيل على الرواتب المعينة من الحكومة، وهي لا تجدي نفعا في طريق السلوك، لكونها قاصرة على نفع دنيوي، ولا يحتاج فيها إلى سند، لأن المدار فيها على التحصيل، والإدراك الذي عليه في فهم العلوم التعويل، والسند عندي في ذلك من قبيل ضياع الوقت، إلا ما كان من معرفة الكتب ومؤلفيها، فهو للمعتقد فيه البركة، وذلك نظرا لذكر الصالحين ومالهم من المآثر التي من جملتها تآليفهم، وإنما النفع الخاص عندي مع النفع العام أتحققه في العلوم النورانية والكتب المؤلفة فيها.

والحاصل أن كل علم يشترك في تحصيله الأجنبي والمسلم يحتاج فيه إلى إجازة(32)، لأن المدار فيه على التحصيل للقواعد وفهم المقاصد، وأما ما ينفرد فيه المسلم، فإما أن يكون نورانيا محضا كالحديث والقرآن، فهذا السند فيه من الدين، وإما أن يكون من علم الأصول والفروع، فالمدار فيه على تحصيل قواعده من العارفين به، ولا يحتاج فيه إلى سند إلا على وجه التبرك لا غير، ولا فائدة في السند في اللغة والشعر والمنطق والنحو والمعقولات، وغير ذلك من علم الطبيعة والتنجيم في الكتب المؤلفة فيها، إلا من الحيثية التي ذكرناها من معرفة أصحاب الفن المجاز فيه.

وقد كان أخبرني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني(33) أنه كان يقول عن الشيخ قدس سره : العلوم على أربعة أقسام : علم يقسي القلب وهو علم الفقه والجمود عليه، وعلم يورث الكبر وهو علم النحو وما يرجع إليه، وعلم يزهد في الدنيا وهو علم التاريخ وما أنيط به، وعلم ينور القلب وهو علم الحديث وما يتعلق به، ولا شك أن المنور للقلب هو الذي يحتاج فيه إلى سند، والسند فيه من الدين، وعلى كل حال فلدينا إجازات من شيوخنا اشتملت على الأسانيد المنوطة بكتب الفقه والحديث والقراءات والكلام وغيرها، حسبما أفضنا القول في ذلك في كتابنا قدم الرسوخ المشار له، وإذا يسر الله طبعه نوجه لكم منه نسخا، وقد أجزناكم بجميع ذلك إجازة تامة عامة لتجيزوا بها من شئتم، وأنتم أهل لذلك، إلا ما كان من بعض الكتب في الطريقة التي لا إجازة لنا من أربابها، فنحن لا نجيز فيها إلا بالأذكار المشتملة عليها من الوجهة التي فيها الإذن لنا من أشياخنا قدس سرهم، وقوفا مع

---

(32) توسع العلامة سكيرج فيما يتعلق بمفهوم الإجازة ومعناها في مقدمة كتابه قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، فتكلم على حكمها وتصريفها واعتناء العلماء المغاربة بالأسانيد خلافا لمن أنكر ذلك.

(33) سبق التعريف به في هذا المجموع ج 1 ص 292.

الجادة في الطريق، وحسبنا الله ونعم الوكيل من الترامي على ما ليس لنا به علم، وانتحال أسانيد لم يكن لنا بها اتصال بين ذوي العلم والفهم، (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)(34).

المطلب الثالث :

في طلب الجواب عن أسئلة أوردتموها.

السؤال الأول :

عمن أخذ الطريقة بالمراسلة، هل هو كمن أخذها بالمبايعة يدا بيد ؟

الجواب عن ذلك أن سر الأخذ بالمشافهة أتم من سر الأخذ بالمراسلة، وأنت خبير بأن الصحبة لا تتم إلا بالإجتماع المتعارف، نعم الرابطة تتصل بمجرد تلقي الإذن عمن صح لديه بمشافهة وبمراسلة، وقد كان الشيخ رضي الله عنه يراسل من طلب منه الإذن في الطريقة ويجيزه بها، ولم يجتمع ممن راسلهم إلا بالقليل من أصحابه الذين شدوا له الرحلة، وقد وجه لجماعة منهم الإذن بغير كتاب، حتى أنه وجه الإذن مع غير الآخذين عنه طريقه فبلغوه لمن تلقاه عنه بواسطته، وهذا من أغرب ما وقع في سند الطريقة لبعض أصحابه، فكانت مراسلتهم مثل المشافهة معه بالمبايعة المربوطة بحبل الطريقة، ولا شك أن الآخذ بالمراسلة كالآخذ يدا بيد في التحصيل على فضل الطريق والإنخراط في زمرة أهلها المرادين فيها والمريدين لها من عامة وخاصة، ولا فرق في ذلك بين المريد المجتمع بالمقدم وبين الآخذ عن هذا المقدم بمراسلة، إلا ما كان من سر النظرة والمشافهة فهي أعظم نفعا في الطريق وغيرها، غير أن التقيد بحبل الطريق لا فرق فيه بين المراسلة وغيرها كما بيناه، وكفى دليلا على صحة ذلك فعل الشيخ رضي الله عنه وإقتداء أكابر أصحابه(35) به في ذلك إلى الآن وحتى الآن، وبالله التوفيق.

---

(34) سورة غافر، الآية 44.

(35) ويدل عليه أيضا تلقي الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح للإجازة تبركا من طرف القطب الشهير سيدي الحاج علي التماسيني، القاطن بتماسين من بلاد الجزائر، وكان ذلك بالمراسلة، وقد توسط بينهما في هذه المراسلة العلامة البركة ناظم المنية سيدي التجاني ابن بابا الشنجيطي، ويرجع ذلك لقيمة هذه الإجازة وعلو سندها، ولكون باعثها من أخص الخاصة من أهل الفتح في الطريقة الأحمدية التجانية، وكان رضي ا عنه لا يجيز أحدا ممن يستجيزه إلا بإذن من الحضرة النبوية الكريمة، ولهذا كان يكتب على صدر كل إجازة من إجازاته المباركة ما نصه : بإذن من رسول ا صلى ا عليه وسلم، ولقد وقفت والحمد على نص ذلك وتبركت به.

السؤال الثاني :

عمن أنكر على آخذ الطريقة بالمراسلة قائلا : أخذك هذا لا ينظمك في سلك سيدي أحمد التجاني، فهل إنكاره صحيح أم لا يلتفت إليه ؟ وحينئذ فما يلزمه في الإفتيات على عمل العلماء العاملين ؟

الجواب عن ذلك أن هذا الإنكار صادر عن جهل بالطريق، فلا ينبغي الإلتفات إليه، لكون المراسلة متنزلة منزلة الأخذ مشافهة، كما ثبت ذلك عن الشيخ قدس سره، وجرى على عمله عمل المقدمين بعده في مشارق الأرض ومغاربها، وإن كانت المشافهة أعظم نفعا بسبب سر النظرة الموروثة، ولا يلزم هذا المنكر إلا ما يلزم الجاهل المنكر على العلماء، وحسبه أن لا ينتفع بهم، والجهل أقبح خصلة في الشخص، خصوصا إذا كان مركبا غير بسيط، كفانا الله شره، والله الموفق.

السؤال الثالث :

هل المعتبر في التجديد حصول الإذن ؟ أو قرب السند ؟ أو زيادة المعرفة ؟

الجواب على ذلك أن الإتصال بالشيخ رضي الله عنه من جهة أي مقدم صحيح الإذن كاف في النسبة في هذه الطريقة، ولا يحتاج إلى تجديد فيها ما دام لم ينقطع عنها المريد، مع تحققه بصحة تقديم ملقنه، إلا أنه لما كثر الدخلاء في التقديم، وكثر انقطاع المدعين، كان تجديد الإذن عن المقدمين من شيم الموفقين، لتصح له النسبة بالسند مطلقا عاليا أو نازلا، ولقد رأيت علماء الإصطلاح معتنين بالسند العالي، وأنا في نفسي من جهة ذلك شيء، لكون كثرة الشيوخ في النازل قد زادته أهمية كبرى للتبرك بهم(36)، إلا أن العالي أهم من حيث قلة العدد من الشيوخ فيه، أقرب للسلامة من الإنتحال، خصوصا إذا تحقق حصول الإجتماع في السند، أما النازل فقد يدخله الإنتحال بالنسبة في الأخذ، فلذلك لم يقع الإعتناء به مثل الإعتناء بالعالي والله أعلم.

---

(36) يكون للسند النازل قيمة وبركة جليلة في حال ضمه لجماعة من الأفاضل والأخيار، ومن هذا المنطلق ما يجمعه السند الحافظي من رجالات العلم والولاية والفضل، فمن الثابت الذي لا يقبل الريب أن العالم العلامة سيدي عبيدة الشنجيطي مجاز في الطريقة الأحمدية التجانية من طرف الولي الشهير سيدي محمد الحافظ الشنجيطي، عن شيخ الطريقة سيدنا أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه، وهو سند عال، إذ ليس بينه وبين سيدنا رضي ا عنه سوى واسطة واحدة، ومع هذا كله كان العالم العلامة سيدي عبيدة الشنجيطي يقدم سنده النازل، نظرا لما ضمه من سادات علماء وأولياء أفاضل، ولهذا كان رحمه ا يقول إذا أراد أن يجيز أحدا : أجيزك كما أجازني أخي العلامة سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجا، كما أجازه العلامة سيدي بانم الواداني، كما أجازه العلامة سيدي مولود فال اليعقوبي، كما أجازه العلامة الشهير سيدي محمد الحافظ الشنجيطي، كما أجازه سيدنا الشيخ أبو العباس التجاني رضي ا تعالى عنه.

فالتجديد بهذه الملاحظة في العالي أعلى وأرفع قدرا، وقد يعتبر التجديد أيضا من جهة المريد المنقطع عن الطريق فيدخل به بعد خروجه، وينبغي التشديد عليه وعدم الموافقة على تجديد الإذن له إلا بعد تحقق توبته حتى لا يعود للقطيعة، وقد اتضح أن المعتبر في التجديد هو قصد تحقق الرابطة بالسر الساري من الشيخ رضي الله عنه لمريديه بواسطة مقدميهم الذين لهم الإذن الصحيح، كيف ما كان التقديم عاليا أو نازلا مطلقا أو مقيدا، مع اعتبار كمال الخصوصية في المقدم للتلقين علما وعملا وفضلا، ويتفاوت ذلك بحسب المقاصد، ولكن السند العالي له مزيد اعتبار عند المعتنين بالأذكار والأسرار، وفي هذا كفاية.

السؤال الرابع :

هل زيارة الأولياء أحياء وأمواتا إذا كانت بقصد الصلة العامة لا بقصد التعلق والإستمداد، مع وفور محبتهم ونهاية تعظيمهم، من حيث أنهم عباد الله وخيرة خلقه لا غير فيها منع يؤدي الزائر بذلك الشرط لقطعه عن الطريق والعياذ بالله ؟ وإذا قلنا بعدم المنع فما الذي يترتب على من أسند المنع لمولانا القطب المكتوم ؟

الجواب : إن المريد العارف بمعنى الزيارة غير ممنوع منها، ولا يكون عارفا بها إلا من كان يتحقق بمعنى الإخلاص ويعمل بمقتضاه، وقد قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح(37) رحمه الله : العامة أمثالنا لا يعرفون العمل لله، يعني أنهم لا يخلصون في أعمالهم، فالأولى هو المنع من الزيارة مطلقا سواء كانت زيارة تعلق واستمداد، أو زيارة اعتبار، أو قصد الصلة العامة، وقد قال الشيخ الأكبر ابن عربي(38) قدس سره فيما نحفظه منقولا عنه : ما سامح شيخ مريده في الإجتماع بغيره قط، وفي المنية(39) :

---

(37) سبق التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا التأليف.

(38) العارف با الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي الحاتمي رضي ا عنه، أحد أكابر الشيوخ المربين، له مؤلفات كثيرة أشهرها الفتوحات المكية، وتمتاز كتبه بالدقة والتحقيق فضلا عن غوصها في بحور المعرفة اللدنية الكبيرة، وقد ترجم الكثير منها إلى لغات مختلفة، توفي رحمه ا بدمشق وبها دفن سنة 638هـ. أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 188 رقم الترجمة 288، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 281 رقم الترجمة 291، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 281 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 241. وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 3 ص 108 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 311، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 316 رقم الترجمة 133.

(39) منية المريد نظم في فقه الطريقة التجانية، للعلامة الكبير، والأديب الشهير، سيدي التجاني بن بابا بن أحمد بيب بن عثمان العلوي الشنجيطي، سماه والده بالتجاني تبركا باسم سيدنا الشيخ رضي ا تعالى عنه، توفي بالمدينة المنورة سنة 1266هـ. ودفن بالبقيع، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 60، وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 98 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 33، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 398 رقم الترجمة 1592، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 103، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 5 ص 413. وللإشارة فإن هذا النظم قد شرحه العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه تحت عنوان : بغية المستفيد لشرح منية المريد.

وكل من أخذ عن شيخ وزار   سواه لم ينفع به ولا المزار

فالأولى عدم الزيارة ووجوب المحافظة على حرمة الشيوخ، فإنها من حرمات الله، وقد أنشد في الفتوحات :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله   فقم بها أدبا لله بالله

وقد علمت أنه لا يترتب شيء على من أسند المنع للشيخ رضي الله عنه، لأنه هو الوارد عنه، والتفرقة بين زيارة التعلق والإستمداد وبين غيرها إنما هو في حق العارف، والعارف غير محجر عليه كما هو مقرر.

السؤال الخامس :

هل على التجاني من منع إذا قصد إحياء ليالي رمضان بالذكر ولم يتيسر له وحده، ولم يجد من الإخوان ممن هم على طريقته من يستعين بهم على الإحياء، ومن عادة الهمم الفاترة أنها تأنس للنشاط باجتماع بعضها مع البعض، وكان بالقرب منه جماعة خلوتية يذكرون الله في كل أحايينهم، خصوصا ليالي رمضان، فيحيونها كلها، فيذهب إليهم ويذكر معهم كذكرهم، لا بقصد المدد، ولا بقصد التزام ما يذكرونه، وذكرهم إنما هو للأسماء السبعة، بل يقصد الذكر العام، ونيته وتعلقه بشيخه لا غير، بل لا يرى في الوجود مثل شيخه حتى يتعلق به أو يستعطفه في شيء من أمر دينه أو دنياه، وإذا كان ثم منع مع هذا التحفظ فما معنى قول الرماح : واعلم يا أخي أن من جملة اللين أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو الشناوية(40) أو الرفاعية(41) أو غيرهم، فالواجب أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت، ولا تخالفهم فتتشوش عليهم، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر(42).

فالجواب والله الموفق للصواب : أن إحياء ليالي رمضان بمثل ما ذكرتم ليس عليه عمل الشيخ رضي الله عنه ولا عمل أصحابه، ولقد بلغنا عن سيدنا رضي الله عنه أنه أمر بسد الزاوية ليلة السابع والعشرين من رمضان، ونهى الإخوان عن عمارتها بالذكر(43)، كما بلغنا توبيخ الشيخ رضي الله عنه لبعض العلماء من أصحابه لما دخل لحلقة ذكر بعض الطرق،

---

(40) الطريقة الشناوية نسبة للشيخ أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي، المتوفي بالمدينة المنورة عام 1028هـ، ومن مصنفاته : شرحه على الجواهر الخمس لغوث ا الشطار، والإقليد الفريد في تجريد التوحيد، ورسالة في وحدة الوجود، وغير ذلك. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 1 ص 181.

(41) الطريقة الرفاعية نسبة للشيخ أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني المتوفي عام 578هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني ج 1 ص 140 رقم الترجمة 262 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 174 وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 4 ص 266.

(42) أنظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للعلامة الصالح سيدي الحاج عمر الفوتي ج 1 ص 167.

(43) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 52.

حيث حظره وأخبره بأنه كان من الواجب عليه أن يخرج من صفهم(44).

وعليه فالمتعين هو عدم الدخول مع هؤلاء الذاكرين خشية صدور ما ينقطع به المريد عن طريقته المقيد بحبلها، كيف ما كانت هذه الطريقة، وما ذكره في الرماح لا عمل عليه بين خواص الأحباب(45)، ولا يوافقه عليه أحد فيه، وقد كان يقول بعض علماء الطريق : إن الرماح كل شيء فيها ماعدا الطريقة فليست فيها، لاشتمالها على أمور ليست من طريقتنا، وقد كان عزم بعض أعيان علماء الطريق اختصارها والوقوف مع المتعين في الطريقة من الفقه المنوط بها، فالحزم كل الحزم للمريد هو عدم الدخول في صف الذاكرين لغير أذكار طريقته من طرق الشيوخ قدس سرهم، ولا يعتمد على ما في الرماح مما نقلتموه عنها في هذا المقام، والذي ينبغي هو حمل ما في الرماح على من يدخل على جماعة من تلك الطرق، ويخشى أن يؤدي خروجه من صفهم في المحل الذي لا يسعه وحده دونهم إلى تغيير قلوب ومدابرة وعداوة، فهذا يتعين عليه أن لا يخرج ولا ينكمش انكماش المنقبض الغير الراضي بعملهم، فإن ذلك يؤدي إلى مثل ما ذكرناه، وذلك في ليالي رمضان وغيرها.

والأولى هو عدم الحضور معهم مادام يجد فسحة لعدم الحضور معهم، ولقد كان دأب الخاصة من المقدمين والأحباب في إحيائهم لليالي رمضان بصلاة التسبيح، فهي نعم الذخيرة بدلا عن سائر الأذكار والتراويح،

---

(44) إشارة لما ذكره العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب، عند ترجمة الفقيه الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمان برادة، ونص ذلك : ومن عجيب ما اتفق له أنه كان بمصر مارا ببعض طرقها، فرأى جماعة من بعض الطوائف في إحدى زواياهم، وهم مجتمعون في حضرة ذكرهم، فاستحسن ذلك، ودخل لموضعهم وجلس ينظر إليهم، ولم يكونوا تجانيين، فلم يشعر بنفسه حتى أخذته سنة. فرأى سيدنا رضي ا عنه وهو يقول له في معرض التوبيخ : ما هذا يا فلان مبارك سعيد الشيخ الجديد، فاستيقظ فزعا مرعوبا، وقام وخرج مسرعا، ولازال عاضا بنواجده على حبل هذه الطريقة إلى أن توفي رحمه ا إهـ ... أنظر كشف الحجاب ص 226.

(45) ذكر المقدم البركة سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، قال : قال سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه : كتبت لصاحب الرماح رحمه ا ليوجه لي نسخة مصححة من كتاب الرماح، فلما وصل الرقاص وجده قد توفي، فمكن كتابنا من ولده، وبقي الرقاص مدة ينتظر الجواب، فلما طال به الأمر طلب من ولده الجواب، فقال له : اعلم يا سيدي أني لم أجد نسخة مصححة يرسل بها إليكم، يكون قد كتب عليها المؤلف أو صححها، ولو وجدتها لكنت وجهتها لكم، ثم قال سيدي محمد العربي بن السائح : فكتاب الرماح لم توجد منه نسخة صحيحة أصلا، وأما ما فيه من الأشياء المنكرة فقد دسها فيه على المؤلف أهل تمبكتو من الذين ينكرون علينا، غفر ا لنا ولهم، كما دس على السيوطي والحاتمي والشعراني أهل الإنكار والجحود، ثم استطرد قائلا رضي ا عنه : ولا معول عندنا في طريقنا على شيء مما هو في الرماح، لأنه كتاب مجموع فيه فوائد غزيرة، منها ماهو من الطريق، ومنها ما هو ليس منها، فلا يعتمد في الطريق على شيء منها أصلا لامتزاج الغث بالسمين فيه. أنظر كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب مولانا العربي بن السائح، وانظر الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 13.

ثم لا يهمكم ما قلناه في الرماح مع جلالة مؤلفها رحمه الله، فإنه رضي الله عنه ملأها علما وفوائد، فكانت مجمع ذخائر مما هو من الطريق وما هو ليس منها، اقتضى جلبه فيها تنميق تصنيفها في ذلك المقوال البديع، فجزى الله مؤلفها خيرا وأعظم له أجرا، وقد أخبرناكم بما بلغنا عنها، ولا علينا فيمن انتقد ذلك، إن كان لديه ما ينقض به ما أبرمناه(46)، وذكرناه عمن عنه تلقيناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السؤال السادس :

ما حكم الله في المصيبة العامة، والبلية الطامة، من اقتحام الناس للبس البرنيطة(47) على اختلاف أنواعها، وأكبر داع لهم في ذلك حب التشبه بالكفرة اللئام، إلا أن بعضهم يدعي جدلا أنما يلبسها لوقاية الشمس، ولكن نجده يلبسها في غير أوقات الشمس، وبعضهم يذهب بها إلى الجامع إلى آخره.

الجواب عن هذا أنه ينظر أولا إلى مذهب اللابس لها والحكم المقرر فيه، أما التشبه بالكفرة فهو مذموم عند الأئمة الأربعة وغيرهم، ولم يبق إلا حكم لباسها ضرورة، فينبغي اتباع قول إمامه واختلاف علماء فروع مذهبه، ونحن في مذهبنا المالكي لباس البرنيطة حرام لا يؤدي إلى الكفر، وكذلك ما شاكلها مما هو من زي الكفار، إلا ما كان علامة على الكفر كعقد زنار، فهو علامة على ردة صاحبه، والحضور معهم في كنائسهم للصلاة معهم لا بقصد التفرج، وعلى كل حال فلابس البرنيطة لا لضرورة شرعية آثم عاص، وإن للعب بها في مرسح لهو، فأحرى إن تشبه في لباسها بالكفرة، فهذا إلى الكفر أقرب، واعتبر أمره إذ لبسها ودخل إلى بلدة إسلام لا يعرفونه، فإنهم يعتقدون فيه أنه كافر، ولو أظهر لهم أنه مسلم فإنهم لا يصدقونه، وإذا لبس الكافر ثياب مسلم ودخل لبلدة الكفر فمن لا يعرفونه فإنهم يعتقدون فيه أنه مسلم فيعاملونه بزيه كما يعامله الأولون، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما ما طلبتم منا من الدعاء لكم فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا ويرزقنا وإياكم العافية في الدارين، ويحشرنا في زمرة سيد الثقلين، ويكون لنا بما كان به لخاصة أصفيائه، ويؤيدنا في جميع الحركات والسكنات، وأن لا يحرمنا من النظر إلى وجهه الكريم، وفي الختام أرفع سلامي إلى سائر الإخوان بطرفكم خصوصا العارف بالله مدثر إبراهيم، والشيخ العيد محمد، والشيخ الطيب، والشيخ محمد البشير، وكل من هو منكم وإليكم، ونحن على العهد نرعى الذمام(48)، فدوموا على العهد والسلام في التاريخ صدره، حرره خديم الحضرة المحمدية التجانية عن عجل، عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله في 8 ذي القعدة الحرام عام 1350هـ.

---

(46) أبرمناه : بمعنى أحكمناه.

(47) البرنيطة : لباس للرأس.

(48) الذمام : مفرد أذمة وهي الحقوق والحرمة.